التبصرة
في بيان أن تحري إجابة دعاء
الله تعالى عند القبور
بدعة منكرة

ويليه:

الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء

تأليف ماجد بن سليمان الرسي

شوال ، ١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فإن الله خلق الجن والإنس ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] ، والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.
«فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك ، والإحسان إلى البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.
وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمته ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ؛ هي من العبادة لله أيضًا».[2]

وضد العبادة الشرك في عبادة الله ، بأن يجعل الإنسان لله شريكا يعبده كما يعبد الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويتقرب إليه بشيء من العبادات – من دعاء وصلاة أو ذبح أو نذر أو غير ذلك – كما يتقرب إلى لله.

والدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، وقد بينت الشريعة وسائل إجابة الدعاء ، التي إن تحراها المسلم فإن دعاءه يكون أقرب للإجابة عما إذا خلا دعاؤه من ذلك السبب ، وهذه الأسباب ستة أنواع[3]:

السبب الأول متعلق بذات الداعي.
السبب الثاني متعلق بعبادة قام بها الداعي
السبب الثالث متعلق بحال الداعي.
السبب الرابع متعلق بزمن الدعاء.
السبب الخامس متعلق بمكان الدعاء.

---

[1] سورة الذاريات: 56 .

[2] نقلا من «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله (10/149 – 150) بتصرف يسير.

[3] قول مقيده عفا الله عنه إنها ستة أنواع إنما هو بحسب ما توصل إليه بحثه واستقراؤه ، والله المستعان.

السبب السادس متعلق بآداب الدعاء.[1]

وبالرغم من بيان الشريعة لأسباب إجابة الدعاء ؛ فقد انقسم الناس في مسألة تحري إجابة الدعاء إلى ثلاثة أقسام ، **فقسم** توجه بالدعاء لأصحاب القبور ممن يُنسبون غالبا إلى الصلاح والوِلاية ، زاعمين أن دعاءهم قريب للإجابة ، ولا شك أن هذا الفعل خطأ من ثلاثة وجوه ؛ **الأول** أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، لأن الدعاء عبادة[2] ، وجميع العبادات لا يجوز صرفها إلا لله وحده ، فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك.

والثاني أن الموتى لا يسمعون دعاء من ناداهم ، كما قال تعالى ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[3].

والثالث: أن الموتى ليس لهم تصرف ولا مقدرة على نفع أنفسهم فضلا عن غيرهم ، وعليه فدعاؤهم وطلب الحاجات منهم من أسفه السفه وأبطل الباطل.[4]

والقسم الثاني من الناس هم الذين يدعون الله تعالى ، ويتحرَّون مواطن الإجابة التي وردت في الكتاب والسنة لكي يستجاب دعاؤهم ، كالدعاء في ثلث الليل الآخر ، والدعاء في السجود ، والدعاء يوم عرفة ، وغير ذلك من مواطن إجابة الدعاء ، وهؤلاء هم المستقيمون على الشريعة ، أتباع النبي ﷺ ، جعلنا الله منهم.

والقسم الثالث هم الذين يدعون الله تعالى وحده ، ولا يدعون غيره ، ولكنهم يتحرون بعض الأماكن لإجابة دعائهم لم تأت بها الشريعة ، بل ربما جاءت الشريعة بالنهي عن تحري الدعاء عندها ، كالذين يتحرَّون إجابة الدعاء عند القبور ، سواء كانت قبور أنبياء أو رجال صالحين أو غير ذلك ، فتجد أحدهم يذهب بجوار قبر ويقول: يا رب ارزقني الولد ، يا رب اقض ديني ، ونحو ذلك.

وفي هذا البحث المتواضع ناقشت اعتقاد القسم الثاني من الناس ، وبينت خطأه من عدة وجوه ، ثم بينت البديل الشرعي ، بذكر الأماكن والأزمنة والأحوال التي دلت النصوص الشرعية على قرب إجابة الدعاء عندها ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده ، لأن العبد إذا عمل عملا لم ترد

---

[1] سيأتي الكلام على كل نوع من هذه الأنواع قريبا إن شاء الله.

[2] كما قال النبي ﷺ : الدعاء هو العبادة. رواه أبو داود (1479) ، والترمذي (2969) ، وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

[3] سورة فاطر: 22 .

[4] وقد يسر الله إعداد كتاب يتعلق ببطلان دعاء غير الله بعنوان «خمسون دليلا على بطلان دعاء غير الله» ، وقد طبعته دار الفرقان بالجزائر ودار الاستقامة بمصر ، وهو بكل حال منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

به الشريعة رُدَّ عليه عمله ، وباء بإثم الزيادة في دين الله كما قال النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1] ، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).[2]

والله أسأل أن يوفقنا والمسلمين جميعا لإخلاص العمل لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ ، وأن يجنبنا وإياهم طرق الغواية ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه ، وسلّم تسليما كثيرا.

وكتب ماجد بن سليمان الرسي
في الرابع عشر من رمضان لعام 1433 هجري.

00966505906761

majed.alrassi@gmail.com

[1] رواه البخاري (2697) ومسلم (1718).

[2] رواه مسلم (1718) عن عائشة رضي الله عنها.

فصل في بيان أن تحري إجابة دعاء الله عند القبور باطل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، موجب للكفر والخلود في النار ، وهذا أمر مجمع عليه ، وهو واضح لا غبار عليه.

أما دعاء الله عند القبور رجاء الإجابة فليس شركا بحد ذاته ، ولكنه وسيلة عظمى للوقوع في الشرك ، لأن الشيطان سيُزين لفاعله دعاء ذاك المقبور ، لاسيما من كان في حالة اضطرار ، فإن فعل وقع في الشرك الأكبر عياذا بالله.

وتحري إجابة الدعاء عند القبور باطل من خمسة وجوه:

الأول: أنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على أفضلية دعاء الله عند القبور ، وقد تقرر في شريعة الإسلام أن كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة فهي مردودة على صاحبها ، لقول النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد.[2]

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[3]

الثاني: أنه لو كان تحري الدعاء عند القبور أمرًا مشروعًا – وجوبًا أو استحبابًا – ؛ لفعله الصحابة رضوان الله عليهم عند قبر النبي ﷺ ، كما لم يرد ذلك عن السلف الصالح في القرون الثلاثة المفضلة الأولى.

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد أَجدِبوا مرات ، ودهمتهم نوائب ، وما نقل عنهم البتة أنهم جاؤوا ودعوا الله عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر أحد من كبار الصحابة ، ولو كان ذلك مشروعا لفعلوه ولنقل إلينا فعلهم ، لأنه مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ، فكان إجماعا منهم على بدعية هذا الفعل ، فتأمل هذا فإنه مفيد.

قال ابن تيمية[4] رحمه الله:

---

[1] المقصود بالأمر هو الدين.

[2] تقدم تخريجه.

[3] تقدم تخريجه.

[4] هو الإمام العلامة البحر الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غربته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام

ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور **ولا يتحرون الدعاء عندها أصلا** ، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم ، كما قد ذكرنا بعضه ، فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون ، فإن كان أفضل لم يجُز أن يخفى علم هذا على الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلةً بهذا الفضل العظيم ويعلمه من بعدهم ، ولم يجُز أن يعلموا ما فيه من الفضل العظيم ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء ، فإن المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه نوع كراهة ، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه؟!

هذا محال طبعا وشرعا.

وإن لم يكن الدعاء عندها أفضل ؛ كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية ، كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها ، من شطوط الأنهار ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق وجوانب الطرقات وما لا يُحصي عدده إلا الله.

وهذا قد دل عليه كتاب الله في غير موضع ، مثل قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾[1] ، فإذا لم يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه ؛ فمن شرَّعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

وقال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2].

وهذه العبادة عند المقابر نوع من أن يُشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ، لأن الله لم ينزل حجةً تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره ، ومن جعل ذلك من دين الله فقد

الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السجن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعده من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة 728 هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد – مكة ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

[1] سورة الشورى: 21 .

[2] سورة الأعراف: 33 .

قال على الله ما لا يعلم ، وما أحسن قوله تعالى ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ ، لئلا يُحتج بالمقاييس والحكايات. انتهى.[1]

وقال ابن القيم[2] رحمه الله بعد كلام له عن الزيارة الشرعية:

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله ، وهذه سنة خلفائه الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة **قصدوا القبور فدعوا عندها** وتمسحوا بها ، فضلا أن يصلوا عندها ، أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم؟

فليوقفونا على أثر واحد ، أو حرف واحد في ذلك.[3]

قلت: والمأثور عن **السلف الصالح أنهم كانوا يزورون القبور من غير قصد تحري الدعاء عندها** ، فالواجب الوقوف حيث وقفوا ، فعن ابن عون قال: سأل رجل نافعا: هل كان ابن عمر[4] يُسلِّم على القبر؟

فقال: نعم ، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة ، كان يمر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي ﷺ ، السلام على أبي بكر ، السلام على عُمَرَ أبي.[5]

---

[1] «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/687-688) ، وانظر للفائدة: (2/728) ، وكذا «مجموع الفتاوى» (27/129-130).

[2] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة 728 ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة 751 ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

[3] «إغاثة اللهفان» ، ص 367 – 368 .

[4] أي الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

[5] رواه البيهقي في «الكبرى» (5/245) عن نافع به ، والآجري في «الشريعة» (1914) ، عن معاذ بن معاذ عن ابن عون عن نافع به ، باب ذكر دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي ﷺ .

ورواه مالك في «الموطأ» ، كتاب قصر الصلاة والسفر ، باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ، عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر ... الخ.

وروى مالك في «الموطأ» عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر.[1]

وروى البيهقي في «شعب الإيمان»[2] عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ ، فصلى عليه وسلم ودعا له ولا يمس القبر ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم قال: السلام عليك يا أبتِ.

ففي هذه الآثار عن ابن عمر رضي الله عنهما رَدٌّ واضح على من قال بفضيلة الدعاء عند قبر النبي ﷺ ، لأنه لو كان للدعاء هناك مزية وفضل لفعله ابن عمر رضي الله عنهما ، لأنه من أحرص الصحابة على الخير واتِّباع السنة ، لا سيما وقد رؤي عشرات المرات عند القبر النبوي.

وفي هذا الأثر نرى أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا زار قبر النبي ﷺ **دعا له ولم يدعُ لنفسه** ، ولو كان للدعاء عند القبور شرف ومَزِيَّة لدعا لنفسه قطعا ، ولكنه اكتفى بالدعاء للمقبور ، اتباعا منه للشريعة.

الدليل الثالث على بطلان تحري الدعاء عند القبور: أنه قد ورد عن بعض خيار السلف نهي الناس عن تحري الدعاء عند القبور ، ومن ذلك ما جاء عن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها **فيدعو** فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول ﷺ قال: لا تتخذوا قبرى عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وسلموا عليَّ ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.[3]

وفي رواية إسماعيل القاضي: وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم.

قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا علي بن الحسين ، زين العابدين ، وهو من أجل التابعين علما ودينا ، حتى قال الزهري: (ما رأيت هاشميا مثله) ، وهو يذكر هذا الحديث بإسناده ، ولفظه: (لا تتخذوا

وعزاه ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (668/2) لابن بطة في «الإبانة» ، وصحح إسناده.

معاذ بن معاذ هو العنبري أبو المثنى ، ثقة متقن ، ومن شيوخه ابن عون. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال».

ملاحظة: في «الشريعة»: «ابن عوف» ، والصحيح ابن عون ، وهو عبد الله بن عون المزني ، أبو عون البصري ، ثقة ثبت فاضل. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال».

[1] كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

[2] (88/8 - 89) برقم (3854) ، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (6724).

[3] رواه أبو يعلى في «مسنده» (361/1) رقم (469) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (7541) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (20) ، وقال الألباني في حاشيته عليه : حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وقد خرجتها في «تحذير الساجد».

بيتي عيدا ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم) ، وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته ، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته[1] ، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا وهذا.[2]

فيستفاد من هذا الأثر أن علي بن الحسين – الذي هو من أعظم وأعلم رجال آل بيت النبي ﷺ ، ومن أعرف الناس بحقوق جده ﷺ – قد أنكر على الرجل الذي كان يأتي إلى قبر النبي ﷺ للدعاء عنده ، ولا يعرف له مخالف ، فهو إجماع من التابعين في وقته على تحريم الدعاء عند القبور.

الرابع: ومن أدلة بطلان تحري الدعاء عند القبور أن الباعث على ذلك تعظيم أهلها ، والواجب أن يكون باعث المسلم على الدعاء وسائر العبادات هو تعظيم أمر الله وأمر رسوله ﷺ ، لا تعظيم المخلوقين من المقبورين وغيرهم.

الخامس: أن دعاء الله عند قبور الصالحين وسيلة عظمى إلى الوقوع في دعاء صاحب القبر نفسه ، لاسيما من كان في حالة اضطرار ، وما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، قال جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

وقد يحكى عندها[3] من الحكايات التي فيها تأثير مثل أن رجلا دعا عندها فاستجيب له ، أو نذر لها فقضيت حاجته ، أو نحو ذلك ، **وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام ، وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك في الأرض.**[4]

ذكر قول الإمام مالك وغيره من العلماء في مسألة تحري الدعاء عند القبور

ومما قاله أهل العلم في هذا الباب ؛ ما أُثر عن الإمام مالك رحمه الله في بدعية الدعاء عند قبر النبي ﷺ ، فقبر غيره أولى بكونه بدعة ، حيث قال رحمه الله:

وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء.

وقال أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يَقدمون من سفر ولا يريدونه ، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيُسلمون ويدعُون ساعة.

---

[1] يشير إلى حديث : لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ... الخ.

[2] «الرد على الإخنائي» ، ص 265 .

[3] أي القبور.

[4] ص 123 .

فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه أوسع ، ولا يُصلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

قال ابن القاسم[1]: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا ، قال: وذلك رأيٌ.

قال الباجي[2]: ففرقٌ بين أهل المدينة والغرباء ، لأن الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصِدوها من أجل القبر والتسليم. انتهى.[3]

علَّق ابن تيمية رحمه الله فقال: فهذا مالك وهو أعلم أهل زمانه – أي زمن تابع التابعين بالمدينة النبوية الذين كان أهلها في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أعلم الناس بما يشرع عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم – يكرهون الوقوف للدعاء بعد السلام عليه ، وبيَّن أن المستحب هو الدعاء له ولصاحبيه ، وهو المشروع من الصلاة والسلام ، وأن ذلك أيضا لا يُستحب لأهل المدينة كل وقت ، بل عند القدوم من سفر أو إرادته ، لأن ذلك تحية له ، والمُحيّا لا يُقصد بيته كل وقت لتحيته ، بخلاف القادمين من السفر.[4]

قلت: وتأمل قول مالك رحمه الله: (يدعو له ولأبي بكر وعمر) ، ولم يقل يدعو لنفسه ، وذلك لما استقر في شريعة الإسلام من أن الغرض من زيارة القبر الدعاء للميت لا للزائر ، وأما الزائر فيدخل ضمنا في دعاء دخول المقبرة في قوله: (يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين) ، فماذا عسى أن يقال لمن جعل الأصل في الدعاء عند القبور أن يكون للزائر ونسي الميت؟

---

[1] هو عبد الرحمٰن بن القاسم ، عالم الديار المصرية ومفتيها ، صاحب الإمام مالك ، روى عن مالك وغيره ، وروى عنه جماعة ، توفي سنة 191 . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (120/9).

تنبيه: في المطبوع من كلام ابن القاسم: (رأي) ، والذي في «مجموع الفتاوى» (118/27): دأبي.

[2] هو محمد بن عبد الله الخَولاني الباجي ، يعرف بابن الفَوْن ، نزيل إشبيلية ، كان عارفا بمذهب مالك ، ثقة ورعًا خيِّرًا توفي سنة 308 . انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي (138/7 – 139).

[3] نقل هذه الأقوال القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (98/2 – 99) ، باب في حكم زيارة قبره ﷺ ، وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو ، وعزاها لكتاب «المبسوط» للسرخسي ، وكذا نقلها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (118/27).

[4] «مجموع الفتاوى» (118/27).

فهذا قول الإمام مالك رحمه الله في مسألة زيارة قبر النبي ﷺ ، وقول الإمام مالك رحمه الله قوي لقربه من العهد النبوي ، ولكونه في المدينة.[1]

[1] وانظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة في «مجموع الفتاوى» (27/129- 130) ، و «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/727) من قول المؤلف: (الوجه الثالث: في كراهة قصدها للدعاء) ، وكذا ما قاله تلميذه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ، ص 363 وما بعدها.

خلاصة

وبناء على ما تقدم ، يتبين لنا أن الدعاء عند القبور ليس له خصوصية استجابة وفضل في الشريعة الإسلامية ، بل القبور كغيرها من البقاع التي لا فضيلة في الدعاء عندها ، كشواطئ الأنهار وجوانب الطرقات والبقاع التي لا يحصي عددها إلا الله ، ولم يخصها الله بفضيلة.

وإذا كان الأمر كذلك ؛ **فتحري دعاء الله عند القبور بدعة** ، ودعوى أن له فضيلة يعتبر من القول على الله بغير علم ، وهذا من كبائر الذنوب ، قال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾.

والذي يشرع لمن زار المقبرة أن يسلم على أهل المقبرة ، ويذكر الدعاء الوارد عن النبي ﷺ :

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.[1]

وزاد في حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه: أسأل الله لنا ولكم العافية.[2]

---

[1] رواه مسلم (974) ، عن عائشة رضي الله عنها.

[2] رواه مسلم (975).

فصل في بيان الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء

ذكرنا في أول الكتاب أن الله سبحانه وتعالى شرع لعباده أسبابا لإجابة الدعاء ، فمن تتبعها وتحراها فدعاؤه قريب للإجابة إن شاء الله تعالى ، وفيما يلي سرد لتلك الأسباب وأفرادها ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده ، فإنا إذا علمنا الأسباب البدعية فاجتنبناها وعلمنا الأسباب الشرعية فعملنا بها ، صرنا على بصيرة من أمرنا ، بإذن الله تعالى.

وأسباب إجابة الدعاء ستة أنواع:

الأول: سبب متعلق بذات الداعي.

الثاني: أسباب متعلقة بعبادة قام بها الداعي وعددها تسعة

الثالث: أسباب متعلقة بحال الداعي وعددها خمسة

الرابع: أسباب متعلقة بزمن الدعاء وعددها خمسة

الخامس: أسباب زمانية مكانية ، وهما اثنتان

السادس والأخير: أسباب متعلقة بآداب الدعاء ورؤوسها ثلاثة عشرة

النوع الأول: سبب متعلق بذات الداعي

وهو سبب واحد ، وهو أن يكون الداعي قائما بما أمر الله به عباده من الأوامر ، مُنتهيًا عما نهى الله عنه من النواهي ، كما قال تعالى ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾[1] ، أي يستجيب لهم الدعاء ، فعلق الإجابة هنا بالإيمان والعمل الصالح.

وقال ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[2] ، فوصَف الله من يستجيبُ لهم دعاءَهم بالعباد ، ومن المعلوم أن العِباد لا يوصفون بذلك إلا لأنهم يفعلون الطاعات ويتركون السيئات.

ومن أنواع الطاعات المحمودة بِرُّ الوالدين ، فقد كان في زمن التابعين رجل صالح بار بوالدته يقال له أُوَيس القَرَني ، وقد كان النبي ﷺ قد أرشد الناس لِطلب الدعاء منه ، فعن أُسَير بن جابر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أُوَيس ، وله والدة ، وكان به بياض ، فمُرُوه **فليستغفر لكم**.

فكان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد[3] أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال له: (**استغفر لي**) ، فاستغفر له.[4]

فوصف النبي ﷺ أُوَيْسا بشدة بره بوالدته ، وربط ذلك بكونه مستجاب الدعوة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الذاكر الله كثيرا ، ودعوة المظلوم ، والإمام المقسط.[5]

فبيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن الذاكر الله كثيرا دعاؤه قريب للإجابة ، لكونه قائما بأمر الله ، وكذا الإمام المُقسِط لكونه قد أطاع الله في رعيته ، وهذا عمل صالح ليس بالهين.

ولما كان دعاء الرجل الصالح قريبا للاستجابة ؛ كان الصحابة يأتون إلى النبي ﷺ ليدعو لهم إذا نزلت بهم نازلة ، ومن المعلوم أن النبي ﷺ هو أصلح الصالحين ، فعن خَبَّاب بن الأرَت قال:

---

[1] سورة الشورى ، الآية 26 .

[2] سورة البقرة ، الآية 186 .

[3] الأمداد هم الجماعة الغزاة الذين يُمِدُّون الجيوش في الغزو ، واحدهم مَدَد. انظر «شرح النووي على صحيح مسلم».

[4] رواه مسلم (2542) ، وأحمد (1/38-39).

[5] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (588 ، 7358) ، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (1211).

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُردةً له في ظِلِّ الكعبة ، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا **تدعو الله لنا؟**[1]

فالحاصل أنه كلما كان الداعي أكثر صلاحا وقربا إلى ربه كان دعاؤه قريب الإجابة.

[1] رواه البخاري (3612).

النوع الثاني: أسباب تتعلق بعبادة قام بها الداعي ، وعددها تسعة

1. **الدعاء قبل التسليم من الصلاة** ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ، أي الدعاء أسمع؟

قال: جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات.[1]

أي آخر الصلاة قبل التسليم ، لأن دبر الشيء منه ، يدل لهذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي ، والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلستُ[2] بدأت بالثناء على الله ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي ، فقال النبي ﷺ : سل تُعطه ، سل تُعطه.[3]

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان شيخنا[4] يرجح أن يكون قبل السَّلام ، فراجعته فيه ، فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان)[5].

2. **دعاء العبد وهو ساجد** ، والدليل على هذا قول النبي ﷺ : وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمِنٌ[6] أن يستجاب لكم.[7]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء.[8]

3. **دعاء الصائم** ، والدليل على هذا قول النبي ﷺ : ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر.[9]

فائدة: دل الحديث السابق على أن دعاء الصائم **حال صومه** من أسباب إجابة الدعاء ، وقد انتشر بين الناس أن دعاء الصائم **حال فطره** من أسباب إجابة الدعاء أيضا ، ولكن الحديث المعتمد في هذا حديث ضعيف لا يسوغ الاعتماد عليه ، وهو حديث عبد الله بن عمرو قال:

---

[1] رواه الترمذي (3499) ، والنسائي في «الكبرى» (9856) ، وحسنه الألباني.

[2] أي: جلست للتشهد.

[3] رواه الترمذي (593) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

[4] يعني ابن تيمية رحمه الله.

[5] «زاد المعاد» (305/1).

[6] أي حريٌّ.

[7] رواه مسلم (479) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (155/1) عن علي رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

[8] رواه مسلم (482).

[9] رواه البيهقي (345/3) عن أنس بن مالك ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (1797).

قال النبي ﷺ : (للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة) ، فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا.[1]

4. **دعاء الحاج والمعتمر** ، لقول النبي ﷺ : الغازي في سبيل الله ، والحاج والمعتمر وفدُ الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم.[2]

5. **الدعاء عند الملتزم** ، وهو الجزء من الكعبة الممتد بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وسمي ملتزما لأن الناس يلتزمونه ويَدعُون عنده ، والدليل على أفضلية الدعاء عنده أن النبي ﷺ كان يضع صدره ووجهه وذِراعيه وكفّيه بين الركن والباب[3] ، أي في الطواف ، وورد عنه في فتح مكة أنه وأصحابه وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسَطُهم[4].

وقال مجاهد: جئت ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والباب.[5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وإن أحبّ أن يأتي «الملتزم» – وهو ما بين الحجر الأسود والباب – فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفّيه ، ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته ؛ فعل ذلك ، وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع ، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره ، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة ... ولو وقف عند الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسنا ...».[6] انتهى.

6. **الدعاء عند شرب ماء زمزم** ، لحديث جابر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شُرب له.[7]

---

[1] رواه ابن ماجه (1753) والطيالسي في «مسنده (237»6) ، واللفظ للطيالسي ، وانظر وجوه ضعفه في «الإرواء» (41/4).

[2] رواه ابن ماجه (2893) ، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (1820).

[3] رواه أبو داود (1899) وابن ماجه (2962) ، والبيهقي (93/5) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، زاد ابن ماجه (وخديه) ، وحسنه الألباني بالحديث والأثر المذكوران بعده كما في «الصحيحة» (2138).

[4] رواه أبو داود (1898) وأحمد (431/3) والبيهقي (92/5).

[5] رواه عبد الرزاق (9047) ، وصححه الألباني في الإحالة المذكورة آنفا.

[6] «مجموع الفتاوى» (142/26).

[7] رواه أحمد (357/3) ، وابن ماجه (3062) ، وصححه الألباني.

7. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله لإجابة الدعاء ؛ **التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا** كما قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[1] ، وهو كقول: يا رحمٰن ارحمني ، يا رزاق ارزقني ، يا غفار اغفر لي ، ونحو ذلك.

8. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله لإجابة الدعاء ؛ **التوسل بدعاء رجل صالح حي حاضر قادر على الدعاء** ، بأن يذهب المسلم إلى رجل من أهل الصلاح والاستقامة ، ويطلب منه أن يدعو له الله عز وجل ما شاء أن يدعو له ، كأن يفرج الله عنه ما هو فيه من كربة ، أو يدعو له بالتوفيق والنجاح ، فإن هذا من أسباب إجابة الدعاء ، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون إلى النبي ﷺ ليدعو لهم إذا نزلت بهم نازلة ، أو أصابهم قحط ، وقد ورد هذا عن بعض السلف أيضا.

9. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لإجابة الدعاء **توسل الداعي بعمل صالح قام به** ، كأن يقول: اللهم بإيماني بك ، واتباعي لرسولك ، وبِري بوالدَي ؛ اغفر لي وارحمني ، وفرج عني ما أنا فيه ، وارزقني الولد ، ونحو ذلك.

والدليل على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة ما ذكره الله في القرآن الكريم من توسل المؤمنين بإيمانهم ليقيهم عذاب النار كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[2].

ومن الأدلة أيضا توسل الثلاثة الذين انطبق عليهم فم الغار بأعمالهم الصالحة ، فتوسل الأول ببره بوالديه ، وتوسل الثاني بتعففه عن الزنا ، وتوسل الثالث بأمانته في المعاملات ، فانكشفت عنهم الصخرة فخرجوا ، والقصةُ مُخرجةٌ في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما.[3]

---

[1] سورة الأعراف: 180 .

[2] سورة آل عمران: 193 .

[3] رواه البخاري (2215) ، ومسلم (2743).

النوع الثالث: أسباب متعلقة بحال الداعي ، وعددها خمسة

1. **دعوة المظلوم** ، لقول النبي ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن: واتَّق دعوةَ المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.[1]
2. **دعاء الوالد لولده أو على ولده** ، والدليل قول النبي ﷺ : ثلاثُ دعوات لا ترد: دعوة الوالد ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر.[2]

   وقول النبي ﷺ : ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم.

   وفي رواية الترمذي: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده.[3]
3. **دعوة المسافر** ، ودليلها الحديثان المتقدمان.
4. **دعاء الأخ لأخيه المسلم في ظهر الغيب** ، لحديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثلٍ.[4]

   ولفظ أحمد: آمين ، ولك بمثلٍ.[5]
5. **الدعاء عند سماع صياح الدِّيكة** ، لحديث: إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا.[6]

تنبيه

فضل الدعاء عند نزول الغيث ورد في حديث رواه أبو داود واللفظ له والبيهقي وابن أبي عاصم عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: ثنتان لا تُردَّان – أو: قلما تردان: الدعاء عند النداء ، وحين البأس حين يُلحِم بعضه بعضا.

---

[1] رواه البخاري (1496) ومسلم (19).

[2] تقدم تخريجه.

[3] رواه أبو داود (1536) ، والترمذي (1905) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني.

[4] رواه مسلم (2732) ، واللفظ له ، وانظر القصة بطولها في «المسند» (452/6).

[5] رواه أحمد في «المسند» (452/6).

[6] رواه البخاري (3303) ومسلم (2729) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال موسى: وحدثني رُزيق بن سعيد بن عبد الرحمٰن عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: (ووقت المطر).[1]

وهذا حديث منكر ، فإن (موسى بن يعقوب الزمعي) سيء الحفظ ، وقد خالف الإمام مالك – كما سيأتي – فرفعه ، فالرفع زيادة منكرة.

وأما شيخه رُزيق بن سعيد بن عبد الرحمٰن المدني فإنه مجهول ، وقد خالف مالكًا ، فزاد: (ووقت المطر) ، فقد أخرج مالك في «الموطأ» في «كتاب الصلاة» ، باب «ما جاء في النداء للصلاة» هذا الحديث عن أبي حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: فذكره ، ولم يرفعه ، **ولم يذكر لفظ: (ووقت المطر)** أيضا.

وكذا أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»[2] من طريق مالك ، ثم قال: «رفعه الزمعي ، ووقفه مالك ابن أنس الإمام».

وقد صحح الشيخ الألباني رحمه الله هذا الحديث ، فالله أعلم ما هي عمدته ، انظر «صحيح أبي داود الكبير»[3].

تنبيه آخر

نُقِل عن بعض أهل العلم القول باستحباب الدعاء عند نزول المطر ، فلعلهم اعتمدوا على مجموع الأحاديث الضعيفة الواردة في هذا الباب ، ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله: والدعاء مستحب عند نزول المطر.[4]

وقول ابن القيم: وقد حَفِظتُ عن غيرِ واحدٍ طلبَ الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة.[5]

وانظر «الصحيحة»[6].

---

[1] رواه أبو داود (2540) والبيهقي (410/1) وابن أبي عاصم في كتاب «الجهاد» (رقم 18 ، 19) بتحقيق مساعد الراشد ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

[2] (410/1).

[3] (294/7-295).

[4] انظر «مجموع الفتاوى» (129/27).

[5] «زاد المعاد» (461/1).

[6] رقم (1469).

ملاحظة: أفادني بهذه الفوائد الحديثية المذكورة في هذا التنبيه والذي قبله الشيخ أحمد بن علي الرداعي اليمني حفظه الله.

النوع الرابع: أسباب متعلقة بزمن الدعاء ، وعددها خمسة

1. الدعاء في الساعة الفاضلة التي تقع في يوم الجمعة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئا ؛ إلا أعطاه إياه.

وأشار بيده يُقلِّلُها.[1]

وقوله (يُقلِّلُها) فيه إشارة إلى قلة وقتها ومرورها بسرعة.

وقد جاء في تعيين تلك الساعة حديثان ، الأول حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة.[2]

والثاني حديث جابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: يوم الجمعة اثنا عشرة ساعة ، فيها ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر.[3]

قال ابن القيم في «زاد المعاد»:

وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة ، وأحدهما أرجح من الآخر.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، وحجة هذا القول حديث أبي موسى.

والقول الثاني: أنها بعد العصر ، وهذا أرجح القولين ، وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والإمام أحمد وخلق ، وحجة هذا القول حديث أبي سعيد وأبي هريرة الذي رواه أحمد في «مسنده»[4] ، وحديث جابر.

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن ، أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة ، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.[5]

---

[1] رواه البخاري (935) ، ومسلم (852).

[2] رواه مسلم (853) ، وقد انتُقِد عليه إخراجه بالاضطراب والانقطاع ، انظر كتاب «التتبع» ص 273 للدارقطني ، تحقيق ودراسة: مقبل بن هادي الوادعي ، وانظر كتاب «بين الإمامين مسلم والدارقطني» ، ص 216 ، للشيخ ربيع المدخلي ، وانظر «فتح الباري» لابن حجر رحمه الله ، شرح حديث (935) ، ووافقه الألباني كما في «ضعيف أبي داود الكبير» (9/397-398).

[3] رواه أبو داود (1048) والنسائي (1388) ، واللفظ له ، وصححه الألباني.

[4] (2/272).

[5] صححه الألباني كما في «ضعيف أبي داود الكبير» (9/398).

ثم قال ابن القيم: وهذا هو قول أكثر السلف ، وعليه أكثر الأحاديث ، ويليه القول بأنها ساعة الصلاة ، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضا ، فكلاهما ساعة إجابة ، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر ، فهي ساعة معينة خلال اليوم ، لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة ، تقدمت أو تأخرت ، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرا في الإجابة ، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة ، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها ، ويكون النبي ﷺ قد حض أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين.[1]

وعلى هذا فالمقصود بقوله (قائم يصلي) في حديث أبي هريرة الأول أي يدعو ، فإن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء ، كما في قوله تعالى ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[2] ، أي ادع لهم.[3]

أما معنى القيام في قوله (قائم يدعو) فيُفِيد ملازمة الدعاء وليس معناه انتصاب الجسم واقفا حال الدعاء.

2. **الدعاء في جوف الليل** ، لحديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن في الليل لساعة ، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة.[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: «من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له».[5]

والجمع بين الحديثين أن أرجى وقت لهذه الساعة المباركة هو الثلث الأخير من الليل.

3. **الدعاء عند التَّعارِّ من الليل** ، أي الاستيقاظ في الليل ، وهذا أعمُّ من الذي قبله ، فالذي قبْله في جوف الليل أي وسَطَهُ ، وهذا في عموم الليل ، والدليل عليه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا

---

[1] انظر «زاد المعاد» (1/388 – 394) ، باختصار وتصرف يسير.

[2] سورة التوبة ، الآية 103 .

[3] انظر تفسير ابن جرير للآية.

[4] رواه مسلم «757».

[5] رواه البخاري (1145) ومسلم (758).

الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا ؛ استُجيب ، فإن توضأ وصلى ؛ قُبِلت صلاته.[1]

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله (حتى يدركه النعاس)[2] ؛ لم يتقلب ساعة من الليل سأل الله شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.[3]

4. **الدعاء في شهر رمضان** ، لحديث: إن لله عتقاء في كل يوم وليلة[4] ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة.[5]

5. **الدعاء بين الأذان والإقامة** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا يُرَد الدعاء بين الأذان والإقامة.[6]

وجاء في أثر عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، إن المؤذنين يفضُلوننا.

فقال رسول الله ﷺ : قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسَلْ تُعطه.[7]

---

[1] رواه البخاري (1154).

[2] ما بين القوسين ضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في «الكلم الطيب» ، رقم 43 ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

[3] رواه أبو داود (5042) والترمذي (3526) والنسائي (10573) في «الكبرى» ، وصححه الألباني.

[4] أي من شهر رمضان.

[5] رواه أحمد (254/2) ، وقال محققو «المسند» (420/12): إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه البزار بسنده كما في «كشف الأستار» (962) ، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (1002): صحيح لغيره.

[6] رواه أبو داود (521) واللفظ له ، والترمذي (212) وأحمد (155/3) ، وصححه الألباني.

[7] رواه أبو داود (524) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

النوع الخامس: أسباب زمانية مكانية ، وهما اثنتان

1. **الدعاء يوم عرفة للحاج** ، لحديث: خير الدعاء دعاء يوم عرفة.[1]
2. **الدعاء صبيحة يوم العيد للحاج في المشعر الحرام** ، ويقع في طرف المزدلفة من جهة مِنى ، ودليله حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ ، وفيه أن النبي ﷺ بات في المزدلفة ، فلما صلى الصبح ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسْفَرَ جدا.[2]

فَتَحرِّي الدعاء في ذلك الوقت في ذلك المكان أمر مسنون وقريب للإجابة إن شاء الله ، تأسيا بالنبي ﷺ .

[1] رواه الترمذي (3585) ، وحسنه الألباني.

[2] رواه مسلم (1218).

النوع السادس: أسباب متعلقة بآداب الدعاء ، ورؤوسها ثلاثة عشرة

1. استصحاب حسن الظن بالله وتيقن الإجابة لحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)[1] ، أي أن الله لا يخيبكم ، وهذا إذا صدق الداعي في الرجاء وأخلص الدعاء ، لأنه إذا لم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه خالصا متضرعا ، فالقلب مَلِك ، والجوارح عبيد.

وقوله ﷺ : يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني)[2] ، وفي رواية لمسلم: (وأنا معه إذا دعاني)[3].

2. الدعاء بإلحاح ورقة وإخلاص وتضرع ، فإن الإخلاص والتذلل سر الإجابة ، عملا بقوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما أصاب أحد قط همٌّ ولا حَزنٌ فقال:

(اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سَمّيت به نفسك ، أو علّمته أحدا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي) ؛ إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا.

فقيل: يا رسول الله ، ألا نتعلمها؟

فقال: بلى ، ينبغي لمن سمِعها أن يتعلمها.[5]

وفي إخفاء الدعاء عشرة فوائد ذكرها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (15/15-22).

3. الدعاء بحضور قلب ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ.[6]

---

[1] أخرجه الترمذي (3479) والحاكم (493/1) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (594).

[2] أخرجه البخاري (7405) ومسلم (2675) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] صحيح مسلم (2685).

[4] سورة الأعراف: 55 .

[5] رواه أحمد في «مسنده» (391/1) ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (199).

[6] تقدم تخريجه قريبا.

(أي ينبغي أن يكون قلبك حاضرا وأنت تدعو ، متفهما لما تقول ، وتذكَّر أنك تخاطب ربَّ العزة والجلال ، فلا يليق بك وأنت العبد الذليل أن تخاطب مولاك بكلام لا تعيه ، أو بِجُمل عفوية قد اعتدت تكرارها دون التفهم لفحواها أو الإدراك لمعانيها).[1]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[2] رحمه الله في تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين * ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا﴾[3]:

«الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة ودعاء العبادة ، فأمر بدعائه تضرعا ، أي إلحاحا في المسألة ودُؤوبا في العبادة ، وخفيةً ، أي لا جهر وعلانية يُخاف منه الرياء ، بل خفية وإخلاصا لله تعالى.

﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ ، أي المتجاوزين للحد في كل الأمور ، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له ، أو يتنطَّع[4] في السؤال ، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء ، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.

﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ ، بعمل المعاصي ، ﴿بعد إصلاحها﴾ بالطاعات ، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق ، كما قال تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾[5] ، كما أن الطاعات تصلح بها الأخلاق والأعمال والأرزاق وأحوال الدنيا والآخرة ، ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ ، أي خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه ، طمعا في قبولها

---

[1] «كتاب الدعاء» لعبد الله الخضيري ، ص 23 ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[2] هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام 1307 وتوفي عام 1376 هـ ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

[3] سورة الأعراف ، الآيات: 55 – 56 .

[4] التنطع هو التكلف والتعمق ، كسؤال الله أمور تفصيلية في الجنة ، وحشو الكلام الذي لا فائدة فيه ، والسجع المتكلف ، والأوصاف التفصيلة ، وطول الكلام والالتواء فيه ، والواجب ترك ذلك ، والتزام جوامع الدعاء ، وسيأتي إنكار عبد الله بن مغفل على ابنه لما سمعه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها.

وللشيخ محمد بن أحمد الفيفي حفظه الله رسالة قيمة في هذا بعنوان «الاعتداء في الدعاء» ، فليرجع إليها من أراد الاستزادة.

[5] سورة الروم: 41 .

وخوفا من ردها ، لا دعاء عبدٍ مُدْلٍ[1] على ربه ، قد أعجبته نفسه ، ونَزّل نفسه فوق منزلته ، أو دعاء من هو غافلٍ لاهٍ.

وحاصلُ ما ذكر الله من آداب الدعاء ؛ الإخلاص فيه لله وحده ، لأن ذلك يتضمنه الخفية وإخفاؤه وإسراره ، وأن يكون القلب خائفا طامعا ، لا غافلا ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة ، وهذا من إحسان الدعاء ، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه». انتهى.

4. ومن آداب الدعاء إظهار الفقر إليه برفع اليدين إلى السماء ، ففيه إظهار للذلة والافتقار إلى الله العزيز الجبار ، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يَـرُدَّهما صِفرا.[2]

5. ومن آداب الدعاء الاعتراف بالذنب إن كان الدعاء متعلقا بطلب المغفرة ، ومن تأمل استغفار الأنبياء وجد ذلك واضحا ، قال آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.[3]

وقال الله عن ذي النون ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك **إني كنت من الظالمين**﴾[4].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: قل: اللهم **إني ظلمت نفسي** ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم.[5]

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: سيد الاستغفار أن يقول:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، **وأبوء لك بذنبي فاغفر لي** ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.[6]

---

[1] أي يمُنُّ على ربه ، وهذا الشعور مؤدٍّ لحبوط العمل ، وفي التنزيل ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ ، وقال تعالى ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾.

[2] رواه ابن ماجه (3865) وابن حبان (160/3) ، وصححه الألباني.

[3] سورة الأعراف ، الآية 23 .

[4] سورة الأنبياء ، الآية 87 .

[5] رواه البخاري (834) ومسلم (2705).

[6] رواه البخاري (6306).

6. ومن آداب الدعاء وصفُ الحال ، ومن ذلك دعاء زكريا في أول سورة مريم ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾[1] ، فمَهّد زكريا لدعائه بما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة ، من كبر السن ، وضعف الحال ، ثم توسل باستجابة الله إليه فيما مضى ، فقال ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾.

وقال موسى لما سقى للمرأتين ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[2] ، فجاءه الخير لما جاءته إحدى المرأتين تدعوه لزيارة أبيها ومن ثم وجد زوجة تقيةً وصِهرا صالحا وعملا يُغنيه عن الفقر ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾[3].

7. ومن آداب الدعاء تقديم الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء ، ودليل ذلك حديث بريدة الأسلمي أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد ، فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهدك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد.

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا سُئِل به أعطى ، وإذا دُعِي به أجاب.[4]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل يصلي ، ثم دعا فقال:

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئِل به أَعطى.[5]

وعنه قال: كان النبي ﷺ إذا كَـرَبَـهُ أمر قال: يا حي يا قيوم ، برحمتك أستَغيث.[6]

---

[1] سورة مريم: 4 .

[2] سورة القصص: 24 .

[3] سورة القصص: 25 .

[4] رواه الترمذي (3475) وابن حبان (174/3) وابن ماجه (3857) وأحمد في «المسند» (349/5 ، 360) ، وصححه الألباني.

[5] رواه أبو داود (1495) والترمذي (3544) والنسائي (1300) وابن ماجه (3858) وأحمد (158/3) وغيرهم ، واللفظ لأبي داود ، وصححه الألباني رحمه الله.

[6] رواه الترمذي (3524) وحسنه الألباني.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: البقرة ، وآل عمران ، وطه.

قال القاسم[1]: فالتمستها ، إنه ﴿الحي القيوم﴾.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم.[3]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين.[4]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.[5]

فهذه الأحاديث وأشباهها تُفيد أن الداعي ينبغي له أن يُقدم الثناء على الله بين يدي دعائه ، إذ هو من التملق بين يدي العزيز ، وهو من أسباب انكسار القلب وانطراحه ومن ثم إجابة الدعاء بإذن الله.

ومن أعظم الأمثلة على تقدم الثناء بين يدي الدعاء سورة الفاتحة ، فإنها قسمان ؛ الأول ثناء ، والثاني دعاء ، فأما الثناء فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمٰن الرحيم * مالك يوم الدين﴾.

والقسم الثاني دعاء ورجاء وهو باقي السورة ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

قلت: والثناء على الله بذكر ربوبيته من أعظم ما يثنى به على الله ، بأن يقول الداعي: يا رب أسألك كذا وكذا ، ولهذا فإن كثيرا من الأدعية القرآنية تبدأ بذكر ربوبيته ، ومن ذلك قوله

---

[1] هو راوي الأثر عن أبي أمامة رضي الله عنه.

[2] رواه الحاكم في «مستدركه» (505/1) ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (746) ، وانظر «صحيح الجامع» (980).

[3] رواه البخاري (6346) ومسلم (2730).

[4] رواه أحمد في «مسنده» (91/1) ، وصححه محققو «المسند».

[5] رواه الترمذي (3505) والنسائي (10417) في «الكبرى» ، وصححه الألباني.

تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[1] ، وقوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[2] ، وقوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[3] ، وغيرها كثير.

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي ، فمجّد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادعُ تُجَب ، وسل تعط.[4]

وفي رواية أن النبي ﷺ قال للرجل: عَجِل هذا ، ثم دعاه ، فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم لِيدعُ بعدُ بما شاء.[5]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء ، حتى تصلي على نبيك ﷺ .[6]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفا: كل دعاء محجوب حتى يُصلَّى على محمد على آل محمد ﷺ .[7]

8. ومن أسباب إجابة الدعاء عدم استعجال الإجابة ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي.[8]

وفي صحيح مسلم عنه: لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل.

قيل: يا رسول الله ، وما الاستعجال؟

قال: يقول: (قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي) ، فيستحسر عند ذاك ويدع الدعاء.[9]

---

[1] سورة البقرة: 201 .

[2] سورة البقرة: 286 .

[3] سورة آل عمران: 8 .

[4] رواه أبو داود (1331) والترمذي (3476) والنسائي (1283) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] رواه الترمذي (3477) ، وابن خزيمة (351/1) ، والبيهقي (148/2) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني رحمه الله.

[6] رواه الترمذي (486) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[7] رواه الطبراني في «الأوسط» (725) ، وصححه الألباني رحمه الله كما في «السلسلة الصحيحة» (2035).
قلت: ومثل هذا الأثر له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالاجتهاد.

[8] رواه البخاري (6340) ومسلم (2735).

[9] رواه مسلم (2735).

وقال النبي ﷺ : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته ، وإما أن يَدَّخرها له في الآخرة ، وإما أن يُصرف عنه من السوء مثلها.

قالوا: إذًا نُكثِر ، قال: الله أكثر.[1]

وتأخير الإجابة قد يكون لحكمة يعلمها الله عز وجل ، فالنفس البشرية تُحب المال والغنى ، فلو استجاب الله للناس دعاءهم بكثرة الأموال فلربما بغوا وطغوا ، وصدق الله ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾[2].

9. ومن آداب الدعاء ؛ الدعاء بجوامع الدعاء وترك التفاصيل ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويَدَعْ ما سوى ذلك.[3]

ومن ذلك ما رواه مسلم عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: سألْت عائشة عمَّا كان رسول الله ﷺ يدعو به الله.

قالت: كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما عملت ومن شرِّ ما لم أعمل.[4]

وعن ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطاياي وعَمدي ، وجهلي وهزْلي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير.[5]

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.[6]

---

[1] رواه أحمد (18/3) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (710) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني كما في «كتاب الأدب المفرد» ، الناشر: مكتبة المعارف: الرياض ، وقال محققو «المسند» (214/17): إسناده جيد.

[2] سورة الشورى ، الآية 47 .

[3] رواه أبو داود (1482) وابن أبي شيبة (29156) ، وصححه الألباني.

[4] رواه مسلم (2716).

[5] رواه البخاري (6398) ومسلم (2719) ، واللفظ للبخاري.

[6] رواه البخاري (6389) ومسلم (2690).

قال عماد الدين ابن كثير[1] رحمه الله:

«الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي ، من عافية ، ودار رحبة ، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولا منافاة بينها ، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا.

وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه ، من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات[2] ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة.

وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا ، من اجتناب المحارم والآثام ، وترك الشبهات والحرام». انتهى.[3]

ولا شك أن الأدعية الواردة في الكتاب والسنة هي من جوامع الدعاء ، ومعصومة من الخطأ ، ومباركة ، فالتزامها خير من التزام غيرها ، من حشو الكلام الذي لا فائدة فيه ، والسجع المتكلف والأوصاف التفصيلية ، وطول الكلام والالتواء فيه.

ومما يشير إلى ذلك ما رواه أبو نَعامة أن عبد الله بن مُـغَـفَّـل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها.

فقال: أي بُـنَـيّ ، سَـلْ الله الجنة وتعوذ من النار ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء.[4]

وروى أبو نَعامة أيضا عن ابن سعد أنه قال: سمِعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا ، فقال: يا بُني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(سيكون قوم يعتدون في الدعاء) ، فإياك أن تكون منهم ، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير ، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر.[5]

---

[1] هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة 774 .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حـجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

[2] العَرَصات جمع عَـرْصة ، وهي الموضع الواسع الذي لا بناء فيه. انظر «النهاية».

[3] تفسير سورة البقرة ، الآية رقم 201 .

[4] رواه أبو داود (96) ، وابن ماجه (3864) وابن حبان (166/15) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] رواه أبو داود (1480) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك»[1] ، يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

لا ريب أن الأذكار و الدعوات من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع ، فالأذكار والأدعية النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء ، وسالكها على سبيل أمان وسلامة ، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ، ولا يحيط به إنسان ، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما وقد يكون مكروها ، وقد يكون فيه شركٌ مما لا يهتدي إليه أكثر الناس ، وهي جملة يطول تفصيلها.

وليس لأحد أن يَسُنَّ للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس ، بل هذا ابتداع دين لـم يأذن الله به ، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة ، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجُز الجزم بتحريمه ، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به ، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت ، فهذا وأمثاله قريب.

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما يُنهى عنه ، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ، ونهاية المقاصد العلية ، ولا يعدِل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مُفرط أو مُتعدٍّ.[2]

10. ومن أسباب إجابة الدعاء العزم فيه وعدم التراخي أو التخيير ، لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فاعطني ، فإنه لا مُستَكرِهَ له.[3]

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.[4]

والتخيير يشعر باستغناء العبد عن الإجابة ، ولذا جاء النهي عنه ، والواجب العزم وعدم التخيير.

---

[1] رواه البخاري (6337).

[2] «مجموع الفتاوى» (22/510-511).

[3] رواه البخاري (6338) ومسلم (2678).

فائدة: قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، لا يُكرهه أحد.

[4] انظر «صحيح البخاري» (6339) و «صحيح مسلم» (2679).

11. ومن أسباب إجابة الدعاء الدعاء ثلاثا ، ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كان إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا.[1]

قال النووي في شرح الحديث: فيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثا.

12. ومن أسباب إجابة الدعاء المواظبة على الدعاء في جميع الأحوال ، في الرخاء وفي الشدة ، وعدم الغفلة عنه ، فإن هذا سبب في إجابة دعائه في حال الشدة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من سَرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب ؛ فليكثر الدعاء في الرخاء.[2]

13. ومن أسباب إجابة الدعاء طِيب المأكل ، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾[3] ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[4] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث[5] أغبر[6] ، يَمُدُّ يديه إلى السماء ؛ (يا رب ، يا رب) ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنَّـى يُستجاب لذلك.[7]

---

[1] رواه مسلم (1794).

[2] رواه الترمذي (3382) ، وصححه الألباني.

[3] سورة المؤمنون: 51 .

[4] سورة البقرة: 172 .

[5] أشعث أي أن شعره منتشر متفرق.

[6] أغبر أي كدِر اللون.

[7] رواه مسلم (1015).

فائدة في أسباب إجابة الدعاء من كلام ابن القيم رحمه الله

قال رحمه الله في مقدمة كتابه «الداء والدواء»:

هٰهنا أمر ينبغي التفطن له ، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يُستشفى بها ويُرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قبول المحِل ، وقوة همة الفاعل ، وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول المَحِل المنفعل ، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء ، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية ، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء ، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره ، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول ، وكذلك القلب إذا أخذ الرُّقى والتعاويذ بقبول تام ، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة ؛ أثَّر في إزالة الداء.

وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره ، إما لضعفٍ في نفسه ، بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القَوس الرخو جدا ، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا.

وإما لحصول المانع من الإجابة ، من أكل الحرام والظلم ، ورَين الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو ، وغلبتها عليها ، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ.[1]

فهذا دواءٌ نافعٌ مزيلٌ للداء ، ولكن غفلة القلب عن الله تُبطل قوته.

وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها ، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس ، إن الله طيب لايقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ ، ثم ذكر الرجل يُطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك».[2]

ثم قال في ص 21:

«والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بِحَده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به ، والساعِد ساعد قوي ، والمانع مفقود ؛ حصلت به النكاية في العدو ، ومتى تخلف

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] تقدم تخريجه ، وهنا انتهى كلامه في ص 10 .

واحدٌ من هذه الثلاثة تخلف التأثير ، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانعٌ من الإجابة ؛ لم يحصل الأثر».

وقال في ص 14:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب ، وصادف وقتا من أوقات الاجابة الستة ، وهي الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم ، وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب ، وذِلةً له وتضـرعا ورِقَّةً ، واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارةٍ ، ورفع يديه إلى الله ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم ثنَّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ، ثم دخل على الله وألحَّ عليه في المسألة ، وتمَلَّقهُ[1] ودعاهُ رغبة ورهبة ، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقدم بين يدي دعائه صدقة ؛ فإن هذا الدعاء لا يَكادُ يُرد أبدا ، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظِنّة الإجابة ، أو أنها متضمنة للإسم الأعظم. انتهى كلامه رحمه الله.

[1] تملَّقه أي تودَّد إليه وتطلف له. انظر «الصِّحاح في اللغة» للجوهري ، مادة: ملق.

شبهات والجواب عنها

اعتمد بعض الناس على أحاديث ظنوا أن فيها دلالة على أفضلية الدعاء عند القبور ، وهي في الحقيقة أحاديث ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها ، وأشهرها أربعة أحاديث:

الحديث الأول: يستدل بعض من يعتقد بأفضيلة الدعاء عند قبر النبي ﷺ بما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» فقال:

أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، أخبرنا أبو عبد الله الصفار ، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا سعيد بن أبي عثمان ، حدثنا ابن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ صلى الله عليك يا محمد ، حتى يقولها سبعين مرة فأجابه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة.[1]

ورواه أبو عبد الله النجار من طريق ابن أبي الدنيا في كتابه «أخبار المدينة» به.[2]

والجواب: هذا أثر ضعيف جدا ؛ لا يعرف قائله أصلا ، فابن أبي فديك لا يُعرف عمن رواه فقال: بعض من أدركت!

وأيضا فإن هذا البعض قد قال: (بلغنا) ، فهي رواية مجهول عن مجهول ، فالحديث معضل.

ثم إن متن هذا الأثر منكر ، فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، بينما يفيد هذا الحديث أن من صلى على النبي ﷺ سبعين مرة صلى عليه الملك مرة واحدة![3]

الحديث الثاني: قال محمد بن الحسن بن زبالة في كتاب «أخبار المدينة»[4]: رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان ، يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة ، ونحن جلوس مع ربيعة بن

---

[1] «شعب الإيمان» (3 /492) برقم (4168).

[2] «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص 294 .

[3] نقلت علل هذا الأثر من «اقتضاء الصراط» (2/ 730).

[4] نقلت هذا الأثر من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (731/2) ، وإلا فإن كتاب «أخبار المدينة» قد ضاع كما قاله الباحث: صلاح عبد العزيز بن سلامة في بحثه «أخبار المدينة» (نشر: «مركز بحوث ودراسات المدينة») ، والذي جمع فيه الباحث كلام ابن زبالة من الكتب التي نقلت عنه ، ككتاب «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» لعلي بن عبد الله السمهودي رحمه الله.

أبي عبد الرحمٰن[1] ، فيقوم عند القبر ، فيسلم على النبي ﷺ ، ويدعو حتى يمسي ، فيقول جلساء ربيعة: انظروا إلى ما يصنع هذا ، فيقول: دعوه ، فإنما للمرء ما نوى.

فالجواب: أن سند هذه القصة ضعيف جدا ، فراوي هذه القصة – وهو الحسن بن محمد بن زبالة – كذاب ، قاله أبو داود.

وقال النسائي والأزدي: متروك.

وقال أبو حاتم: واهي الحديث.

وقال الدارقطني وغيره: منكر الحديث.[2]

وقال ابن حزم: ساقط بالجملة ، قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة ، وهو بالجملة متفق على اطِّراحه.[3]

وعليه فلا ينبغي الاعتماد على هذه القصة ، وربيعة بريء مما نسب إليه فيها لأن راويها عنه كذاب.

الأثر الثالث: قال ابن زبالة في «أخبار المدينة»[4]: حدثني عمر بن هارون عن سلمة بن وردان ، قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو؟

فالجواب: هذا أثر ضعيف جدا ؛ فابن زبالة هو محمد بن الحسن بن زبالة ، كذاب ، وأما عمر بن هارون فهو متروك متهم بالكذب[5] ، وأما سلمة بن وردان فضعيف الحديث[6].[7]

الأثر الرابع: ومما تعلق به الناس في باب فضل الدعاء عند القبور حكايات مكذوبة على بعض الأئمة الكبار ، فجعلوا من ذلك شرعا يتبع! ومنها تلك الحكاية المنسوبة للإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يقصد قبر أبي حنيفة للدعاء عنده ، والذي أخرج هذه الحكاية الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» فقال:

---

[1] هو ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن فروخ ، الفقيه أبو عثمان المدني ، عالم المدينة ، ويقال له ربيعة الرأي ، سمع أنسا وابن المسيب ، وكانت له حلقة للفتوى ، أخذ عنه مالك ، توفي سنة ست وثلاثين ومئة. انظر ترجمته في كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي.

[2] «ميزان الاعتدال» (108/6).

[3] «المحلى» لابن حزم (332/5 ، 334).

[4] نقلت هذا الأثر من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (733/2).

[5] انظر «تقريب التهذيب».

[6] انظر «تقريب التهذيب».

[7] وانظر ما قاله ابن تيمية في «الاقتضاء» (733/2).

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري ، قال: أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال: حدثنا مُكرم بن أحمد قال: حدثنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء إلى قبره في كل يوم — يعني زائرا – ، فإذا عرضت لي حاجة صليتُ ركعتين وجئت إلى قبره ، وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعُد عني حتى تُقضى.[1]

والجواب: أن نسبة هذه القصة للشافعي رحمه الله باطلة لستة أسباب:

الوجه الأول: ضعف إسناد القصة ، فقد قال العلامة الألباني رحمه الله عن سند هذه القصة:
فهذه رواية ضعيفة بل باطلة ، فإن عمر بن إسحاق بن إبراهيم غير معروف ، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال ، ويحتمل أن يكون هو عمرو – بفتح العين – بن إسحاق بن إبراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي ، وقد ترجمه الخطيب (226/2) وذكر أنه بخاري ، قدم بغداد حاجا سنة 341 ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو مجهول الحال ، ويبعُد أن يكون هو هذا ، إذ إن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة 247 على أكثر الأقوال ، فبين وفاتيهما نحو مئة سنة ، فيبعد أن يكون قد أدركه. وعلى كل حال فهي رواية ضعيفة لا يقوم على صحتها دليل.[2]

الوجه الثاني: امتناع حصول هذه القصة ؛ فقد قال ابن تيمية رحمه الله:
إنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحسان فعل لو كان حسنا لفعله المتقدمون ولم يفعلوه ، فإن هذا من باب تناقض الإجماعات ، وهي لا تتناقض ، وإذا اختلف فيها المتأخرون فالفاصل بينهم هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصا واستنباطا ، فكيف – والحمد لله – لم ينقل عن إمام معروف ولا عالم متبع ، بل المنقول في ذلك إما أن يكون كذبا على صاحبه ، مثل ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال: وذكر القصة.[3]

الوجه الثالث: ما ذكره ابن تيمية أيضا: "أن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر يُنتاب للدعاء عنده البتة ، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا ، وقد رأى الشافعي بالحجاز

---

[1] (445/1) ، تحقيق: بشار عواد ، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت

[2] «السلسلة الضعيفة» (78/1) باختصار.

وقد رد العلامة الألباني على الكوثري في نفس الموضع فقال: وأما قول الكوثري في مقالاته: (وتوسَّل الإمام الشافعي بأبي حنيفة مذكور في أوائل «تاريخ الخطيب» بسند صحيح) ؛ فمن مبالغاته ، بل مغالطاته.

[3] «مجموع الفتاوى» (692/2) ، بتصرف يسير.

واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده.

ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزُفَر والحسن بن زياد وطبقتهم ، لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند أبي حنيفة ولا غيره.[1]

الوجه الرابع: "تقدم عن الشافعي ما هو ثابت عنه في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها[2] ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف.

ونحن لو رُوي لنا مثل هذه الحكايات المسيَّبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره؟"[3].

الوجه الخامس: ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي[4] رحمه الله في كتابه «طليعة التنكيل»[5] بعد أن بيَّن ضعف سند هذه القصة:

هذا حال السند ، ولا يخفى على ذي معرفة أنه لا يثبت بمثله شيء ، **ويؤكد ذلك حال القصة ، فإن زيارته قبر أبي حنيفة كل يوم بعيد في العادة ، وتحريه قصده للدعاء عنده بعيد أيضا** ، إنما يُعرف تحري القبور لسؤال الحوائج عندها بعد عصر الشافعي بمدة ، فأما تحري الصلاة عنده فأبعد وأبعد. انتهى.

---

[1] «مجموع الفتاوى» (692/2) ، بتصرف يسير.

[2] قال الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن:

وأحب ألا يجصص ، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء ، وليس الموت موضع أحد منهما ، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة.

وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها ، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك.

وقال أيضا في نفس الباب: وأكره أن يبنى على القبر مسجد.

[3] «مجموع الفتاوى» (692/2) ، بتصرف يسير.

[4] الشيخ عبد الرحمٰن نشأ في اليمن ، سافر إلى جيزان من أرض الجزيرة العربية سنة 1329 وتولى القضاء ، ثم سافر إلى الهند عام 1341 وعمل مصححا لكتب الحديث والتاريخ في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد نحو ربع قرن ، ثم عاد إلى مكة عام 1371 فعُين أمينا لمكتبة الحرم المكي ، وبقي فيها إلى أن توفي عام 1386 . ترك إرثا علميا طيبا في علم الرجال وغيره ، منه كتاب «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» ، وتحقيق كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ، وغيره. انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (342/3).

[5] ص 76 ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

الوجه السادس: يُستأنس بكونه من البعيد أن الشافعي يتوسل بقبر أبي حنيفة ، لما تقرر أن أبا حنيفة يرى تحريم ذلك ، فهو القائل: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول: أسألك بمعاقد العز من عرشك ، وأن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام".
هذا غير معقول البتة.[1]

وبناء على ما تقدم ؛ فقد حكم الأئمة المحققون ببطلان هذه القصة وتهافتها ، فقد نقل الإمامُ ابنُ القيمِ عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في «إغاثة اللهفان» قوله:
والحكايةُ المنقولةُ عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاءَ عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر.[2]

تنبيه: نقل ابن حجر الهيتمي[3] المكي هذه القصة في كتابه المسمى «الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان» في الفصل الخامس والعشرين! فاحذر وتنبه.

---

[1] نقلا من «التوصل إلى حقيقة التوسل» بتصرف يسير ، للشيخ نسيب الرفاعي رحمه الله ، ص 331 – 332 ، الناشر: المكتبة المكية – مكة.

[2] ص 392 .

[3] هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، فقيه شافعي ومتصوف ، قدم إلى مكة فجاور بها إلى أن مات ، توفي سنة 973 . انظر ترجمته في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ، لابن العماد ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

خاتمة البحث وخلاصته

تبين لنا مما تقدم المواطن الشرعية لإجابة الدعاء ، من أزمنة وأمكنة وأحوال وغيرها ، بينها لنا النبي ﷺ – الشفيق على أمته – بيانا شافيا ، فمن تحرى الدعاء في غير هذه المواطن ، كالقبور ونحوها من الأماكن التي لم يرد فيها دليل شرعي صحيح ؛ فقد زاد في دين الله ما ليس فيه ، وقال على الله بغير علم ، وتجرأ على الشريعة ، عافانا الله من ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي في الثامن والعشرين من شهر شعبان ، لعام أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة.

فهرست مواضيع الكتاب

- مقدمة
- فصل في بيان أن تحري إجابة دعاء الله عند القبور باطل
- فصل في بيان قول الإمام مالك وغيره من العلماء في مسألة تحري الدعاء عند القبور
- خلاصة
- فصل في بيان الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء
  - النوع الأول متعلق بذات الداعي
  - النوع الثاني متعلق بعبادة قام بها الداعي ، وأهمها تسعة
  - النوع الثالث متعلق بحال الداعي ، وأهمها خمسة
  - النوع الرابع متعلق بزمن الدعاء ، وأهمها خمسة
  - النوع الخامس أسباب زمانية مكانية ، وهما اثنتان
  - النوع السادس أسباب متعلقة بآداب الدعاء ، ورؤوسها ثلاثة عشرة
  - فائدة في أسباب إجابة الدعاء من كلام ابن القيم رحمه الله
- خاتمة البحث وخلاصته
- فهرست مواضيع الكتاب
- ثبت لأهم مراجع الكتاب

ثبت لأهم مراجع الكتاب

1. سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض
2. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق أيمن صالح شعبان والسيد أحمد إسماعيل ، الناشر: دار الحديث – القاهرة
3. سنن الدارمي ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق د. مصطفى بن ديب البغا ، الناشر: دار القلم – دمشق
4. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز ، مكة
5. المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت
6. شعب الإيمان ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط 1 ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
7. فضل الصلاة على النبي ﷺ ، إسماعيل بن إسحاق القاضي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت
8. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط 5 ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض
9. الرد على الإخنائي ، ابن تيمية ، تحقيق أحمد بن مونس العنزي ، الناشر: دار الخراز – جدة
10. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة
11. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، ط2 ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام.
12. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق محمد العلاوي ، الناشر: دار ابن رجب – مصر
13. زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
14. الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد ، ط 9 ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

15. النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة ، سليم الهلالي ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام
16. كتاب الدعاء ، عبد الله الخضيري ، الناشر: مدار الوطن – الرياض